فن تشكيلي

«أنت وأنا حبر وورق» في غاليري جانين ربيز

تجربة فريدة من نوعها تجمع هذه الأيّام في معرض بيروتي واحد الفنّانة والناقدة اللبنانيّة المعروفة، وابنها المشاكس الذي يقف منها على الموقع النقيض. خاض الثنائي معارك ضارية على مساحة اللوحة، قبل أن يهتديا إلى فضاء مشترك يتبادلان عبره الرسائل الشعريّة والحكايات التراجيديّة بنبرة ضاحكة غالباً

الثنائي أمام جزء من ثلاثية «بين شمس وقمر» (120 x 240 سنتم، حبر صيني وأكريليك على ورق كرافت مقوّى، 2010)

لور غريّب ومازن كرباج **توحدا على الورق**

لعبة ارتجال، كما في المسرح والموسيقى، لعبة بهلوانية خطرة من دون شبكة نجاة

بيار أبي صعب

كان في التاسعة حين حمل رسمين، أحدهما للمصلوب والآخر للقدّيس لويس، وذهب إلى لور غريّب التي كانت تعرض في «غاليري بخعازي». «ماما، أريد أن أشارك معكِ». ابتسمت الأم وربتت كتف الشقي: «إذا صرت فنّاناً جيّداً، فسنقيم معرضاً مشتركاً عندما تكبر». اليوم تجمع «غاليري جانين ربيز» مازن كرباج وأمّه في «أنت وأنا حبر وورق». ليس معرضاً «مشتركاً»، بل موعد استثنائي بين فنّانين يفرّق بينهما كلّ شيء تقريباً، ويجمعهما شيء أساسي: هذا الولد الذي لم يكبر تماماً ـ لحسن الحظ ـ يحبّ أمّه كثيراً!

ربّما كان مازن مديناً لأمّه بلوثة الفنّ، لكنّه يبعد عنها سنوات ضوئيّة. تأثّر الفتى بأمّه في البداية، ثم رفض فنّها، وأخذته خياراته إلى تجارب راديكاليّة وتخريبيّة، أين منها ذلك التناغم والسلم الداخلي اللذان تنضح بهما رسوم لور غريّب ومنمنماتها، ومناخاتها المسكونة بـ«سذاجة» لا تخجل من إعلان نفسها، وبحنين دائم إلى البراءة الأولى. مع الوقت، أعاد مازن اكتشاف الأعمال التي رفضها طويلاً، وتصالح معها من موقعه المغاير.

لقاؤهما الفنّي الأوّل جاء بعد عدوان تمّوز 2006. رسم كل منهما يوميات الحرب، وكانت الحصيلة معرضاً مشتركاً في «غاليري ربيز»، التقت فيه الرسوم المتناقضة، خطاباً وأسلوباً، عند موضوع الكارثة. أعمال المرحلة المشار إليها، نشرت في كتابين مختلفين ــ واحد لكلّ فنّان ـ أمّا الدفاتر المشتركة التي اشتغلا عليها خلال الفترة نفسها، فلم ترَ النور. فيها بدأت محاولتهما الأولى لتقاسم ورقة بيضاء واحدة، والتصارع فوقها بحثاً عن فضاء مشترك، عن «لغة ثالثة» تمثلهما معاً. ثم كان البورتريه الذاتي المزدوج، لوحتهما المشتركة التي حازت العام الماضي جائزة «صالون الخريف/ متحف سرسق».

والآن يطلق الثنائي العنان لتجربته «الانصهاريّة». اشتغلا معاً على كل واحدة من اللوحات الثلاثين التي يتألف منها المعرض الحالي: أعمال بأحجام مختلفة، حبر صيني ـ وبعض الأكريليك، والمواد المختلفة ــ على كرتون أو قماش أو ورق كرافت مقوّى (إضافة إلى مجموعة من القطع الصغيرة). «لم تكن مسألة سهلة أن نرسم لوحة واحدة ـ تقول لور ـ لقد تعاركنا طويلاً. تساءلنا كيف يحمي واحدنا عمله من الآخر. مازن كان يحوّر أفكاري، أرسم الفتاة الرقيقة فيمسخها شيطاناً...». يبتسم مازن: «أنا نزق. أرسم بسرعة وعفويّة. الضربة الأولى هي غالباً الضربة الأخيرة. أما لور، فتعمل على مهل، تملأ الفراغات بصبر. لم تكن الأمور سهلة، لا بدّ من أن أقبل اللوحة كي أضع عليها توقيعي. مع الوقت صرت أشعر بأنّها لوحتي».

لا جدوى من فرز بصمات مازن عن لمسات لور. لقد تداخل الأسلوبان وتمازجا بطريقة مثيرة. البنات الرقيقات يتعايشن مع المسوخ في تناغم تام... التطريز المرهف والدقيق يبدو امتداداً لضربات القلم الغليظة، التناغم والهدوء الداخلي يكملان الأشكال المفكّكة والأعضاء المبعثرة، التي أعيد تركيبها بطرق غريبة. جاءت لور بمنمنماتها لتملأ المشهد، وتبني الخلفيّة الدراميّة للوحة («ورق وحبر 1» و«2» ـ 77 x 77 سنتم، حبر صيني على كرتون، 2009). وجاء مازن بطريقته في تقطيع الفضاء إلى خانات («مسبحة وجوه 1 » و2، «أيقونات» ـ 100 x 70 سنتم، 2010). لكن الحدود بين المشاهد تسقط في «بيروت سراب أم حقيقة» (155 x 155 سنتم، حبر صيني على ورق كرافت مقوّى، 2010)، حيث تختلط الحكايات والمشاهد والشعارات. والمدينة حاضرة بقوّة في كثير من أعمال المعرض.

علاقة المُشاهد باللوحات ثلاثيّة الأبعاد: نبدأ باللقطة العامة، ثم تذهب العين إلى التفاصيل، تتغلغل في المتاهات: خرز ونقوش وموتيفات وطلاسم. فضلاً عن الوجوه والشخصيات. أما المستوى الثالث الذي لا تكتمل من دونه اللوحة، فهو الكتابات المدسوسة في كل مكان ـ لعلّها مراسلات سريّة بين لور ومازن: «أتزيّن لأتحدّى القمر»، «دلني على صحراء لأصبح خيالها»، «أنا الجدّة والأم والبنت»...

إنّها لعبة غريبة بين الابن وأمّه، يتواعدان فوق اللوحة. يرسل لها رسومه فتكمّلها، والعكس. أو يعملان معاً. لعبة ارتجال، كما في المسرح والموسيقى، لعبة بهلوانيّة خطرة بلا شبكة نجاة. ونصل عبر حركة دراميّة تصاعديّة إلى الذروة مع أعمال الكرافت في الغرفة الثانية. هنا كبرت الأحجام، وخفّ عدد الخانات، وازداد الخطاب حدّة وتوتّراً كما نرى من غلاظة الضربات وبخّات الحبر. كأننا بالثنائي انطلق من عقاله، بعد أشهر العمل الأولى، إلى فضاء أرحب وتواطؤ أكبر.

نشير هنا إلى ثلاثيّة «بين شمس وقمر» (120 x 240 سنتم، حبر صيني وأكريليك على ورق كرافت مقوّى، 2010) التي يمكن اعتبارها «مشهداً عائليّاً» على طريقة لور ومازن. في النصّ الموزّع على زوّار المعرض، يكتبان: «علينا أن نتبادل حكاياتنا. أن نمزجها. مخاطرين في كشف أنفسنا أكثر مما ينبغي (...) لا تهمّ المخاطر. نجحنا في أن نكون واحداً في الماضي. فلنحاول أن نعاود الكَرّة على الورق».

حتّى 10 نيسان (أبريل) ـ «غاليري جانين ربيز» (الروشة/ بيروت) ـ للاستعلام: 01/868290

خلاصة

بيروت في الرواية: حرب وكوسموبوليتية ومتاهة

زينب مرعي

نهاية أدب المهجر وولادة أدب المنفى

«بيروت في الرواية/ الرواية في بيروت»، مؤتمر نظمه قسم اللغة والأدب والحضارة العربية في كلية الآداب (الفرع الأول) في الجامعة اللبنانيّة. أكاديميون وروائيون، تحدثوا عن أثر بيروت فضاءً وتاريخاً على الرواية، انطلاقاً من بصمة الحرب الأهلية التي طبعت العديد من الأعمال الروائيّة العربيّة والغربيّة. الأكاديميّة ليليان سويدان والباحثة في مجال سوسيولوجيا الأدب، لاحظت أنّ بيروت دخلت بقوّة بعد الحرب إلى الرواية المكتوبة باللغة الفرنسيّة. «الشرقيّة» و«الغربيّة» تحوّلتا إلى موضوع أثير لأدباء مثل ريشار ميه، وأوليفييه رولان، وأندريه شديد... الروائي والباحث المغربي الحبيب الدائم ربي شرّح من جهته العاصمة اللبنانيّة كما وردت في أعمال إيزابيل أللليندي. الروائية التشيلية أفردت ثماني صفحات كاملة لهذه المدينة في روايتها «باولا». قدّمت هذه الأخيرة رؤية للمدينة بعيدة عن الأحاديّة والتبسيطيّة التي تقترن بالنظرة الاستشراقيّة. برر الدائم ربي ذلك بانتماء الكاتبة إلى دولة من «العالم الثالث»، وامتلاكها حساسيّة أهل الجنوب.

أمّا الناقد السوري صلاح صالح فشرّح بيروت المتاهة كما وردت في أعمال الياس خوري، ورواية «تقرير ميليس» لربيع جابر وخلُص إلى أنّ إحدى نتائج الحرب كانت طمس ذاكرة المدينة. لكنّ بيروت قبل أن تتحول في الرواية إلى «المدينة القاتلة» ـ أي بعد الحرب ـ كانت مدينة «كوسموبوليتيّة» بامتياز، كما ظهر في تحليل ملحم شاؤول لروايتي يوسف حبشي الأشقر «لا تنبت جذور في السماء» و«الظلّ والصدى». المدينة هنا فضاء رمزي للوعي السياسي والنقاش الحرّ ولاستقلالية المرأة.

تحدّث الروائيون المشاركون في شهاداتهم عن بيروت في زمن الحرب وبيروت الأخرى، ولفت الروائي حسن داوود إلى تغيّر المدينة والريف كما نعرفهما، وتمثلاتهما الروائيّة أيضاً. بيروت التي كانت دوماً في طليعة المدن العربية لناحية الإنتاج الروائي، مثلت مادة لعدد من المؤتمرات المشابهة خلال احتفالية «بيروت عاصمة عالمية للكتاب». منسّق «بيروت في الرواية/ الرواية في بيروت» الأكاديمي سامي سويدان برّر تخصيص مدينة بيروت بهذا المؤتمر، وذلك للانطلاق منها رمزاً للوطن. «بالمعنى المجازي يمكن العاصمة أن ترمز للوطن، لكن بالمعنى الحقيقي لا يمكن الجزء أن يختصر الكل، وخصوصاً حين يبلغ الاختلاف والتباين بين الأماكن مستوى عالياً من التناقض أو التنافر». من جهته، لفت الناقد العراقي عبد الله إبراهيم إلى نقطة مفصليّة في تطوّر لغة الرواية اللبنانيّة، إذ قال إنّ صلاحيّة أدب المهجر في هذه الأخيرة انتهت، لنشهد ولادة أدب المنفى.

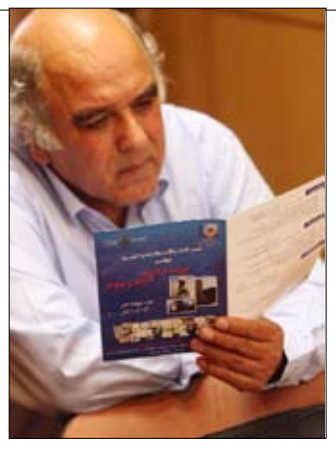

رشاد أبو شاور في المؤتمر